اخلاق المؤمنين

التوكّل على الله



تأليف
أ د/علـى راشـد

رسوم
ماهر عبد القادر

المجد

رقم الإيداع: 2013/20635
المجدللنشر والتوزيع: 01006372799

قالَ التِّلْمِيذُ: لَاحَظْتُ كَثِيرًا أَنَّنِي عِنْدَمَا أَخْرُجُ مِنَ الْمَنْزِلِ مَعَ أَبِي، أَجِدُهُ يُتَمْتِمُ قائِلًا: تَوَكَّلْتُ عَلَى الله. فَمَا مَعْنَى هَذَا؟ ..

اِبْتَسَمَ الْأُسْتَاذُ وَقالَ: إِنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى الله يَا بُنَيَّ قِيمَةٌ دِينِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَهِيَ تَعْنِي أَنْ يَعْتَمِدَ الْمُسْلِمُ الْحَقُّ عَلَى الله وَحْدَهُ، فَإِذَا سَأَلَ حَاجَةً مَا فَلْيَسْأَلِ الله وَحْدَهُ، وَإِنِ اسْتَعَانَ، فَلْيَسْتَعِنْ بِالله وَحْدَهُ، وَأَنْ يُسَلِّمَ لَهُ مَقَالِيدَ أَمْرِهِ كُلِّهِ.. يَقُولُ الله تَعَالَى: "وَعَلَى الله فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"

(سورة: المائدة: آية 23).



قَالَتِ التِّلْمِيذَةُ: أَرْجُو أَنْ تُعْطِيَنَا بَعْضَ الْأَمْثِلَةِ عَلَى التَوَكُل.
أَجَابَ الْأُسْتَاذُ: إِنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى اللّٰه جَعَلَ النَّارَ الْحَارِقَة بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى نَبِيِّ اللّٰه إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ الَّذِي هُوَ مَكْمَنُ الْغَرَقِ وَالْمَوْتِ سَبَبًا لِنَجَاةِ نَبِيِّ اللّٰه مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ، وَهُوَ السَّبَبُ فِي نَجَاةِ نَبِيِّنا الْكَرِيم مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبِهِ أَبِى بَكْرٍ رَضِىَ اللّٰه عَنْهُ يَوْمَ أَنْ كَانَا فِي الْغَارِ فِى أَثْنَاءِ الْهِجْرَة، رَغْمَ قُرْبِ كُفَّارِ قُرَيْش مِنْهُمَا.
كَمَا أَنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى اللّٰه هُوَ السَّبَبُ فِي نَجَاةِ "عِمْرَانَ"..



كَانَ "عِمْرَانُ" تَاجِرًا لِلْأَقْمِشَةِ الْحَرِيرِيَّةِ غَالِيَةِ الثَّمَنِ، وَالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ النَّادِرَةِ مِثْلِ: الْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ وَالزَّبَرْجَدِ. وَفِي إِحْدَى السَّفَرِيَّاتِ، حَمَلَ "عِمْرَانُ" عَلَى حِصَانِهِ بَعْضَ هَذِهِ الْأَقْمِشَةِ الْغَالِيَةِ، وَبَعْضًا مِنْ الْأَحْجَارِ النَّادِرَةِ.



وَقَصَدَ فِي سَفَرِهِ بَلْدَةً يُقَامُ فِيهَا سُوقٌ لِمِثْلِ هَذِهِ الْبَضَائِعِ الْمَرْغُوبَةِ لِبَعْضٍ مِنَ النَّاسِ، وَمَعَ بِدَايَةِ الطَّرِيقِ دَعَا رَبَّهُ قَائِلاً: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ..



وَفِي أَثْنَاءِ سَيْرِه فِي طَرِيقٍ وَعْرٍ تَغْلِبُ عَلَيْهِ الصَّحَرَاءُ إِلَّا مِنْ بَعْضِ الْأَشْجَارِ هُنَا وَهُنَاكَ. إِذْ بِاثْنَيْن مِنْ لُصُوصِ و قُطَّاعِ الطُّرُقِ يُهَاجِمَانِ "عِمْرَانَ" ، ،



وَيَطْرَحَانَهُ أَرْضًا وَيَأْخُذَانِ مِنْهُ كُلَّ الْأَقْمِشَةِ، وَالْأَحْجَارِ
الْكَرِيمَةِ، وَبَعْضَ الْمَالِ، وَالْحِصَانَ" ، وَهَمَّا أَنْ يَقْتُلا "عِمْرَانَ" ..



فَتَوَسَّلَ إِلَيْهِمَا أَلَّا يَقْتُلاهُ، وَلَكِنَّهُمَا رَفَضَا هَذَا التَّوَسُّلَ، فَطَلَبَ مِنْهُمَا أَنْ يُمْهِلَاهُ دَقَائِقَ لِيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ للّٰه تَعَالَى قَبْلَ مَوْتِهِ، فَسَمَحَا لَهُ بِذَلِكَ، وَفِي أَثْنَاءِ الصَّلَاةِ دَعَا "عِمْرَانُ" رَبَّهُ وَقَالَ: رَبِّ إِنِّى قَدْ تَوَكَّلْتُ عَلَيْكَ، اللَّهُمَّ نَجِّنِي مِنْ هَذَيْنِ الظَّالِمَيْنِ".





وَبَعْدَ هَذَا الدُّعَاءِ مُبَاشَرَةً، حَدَّثَ كُلُّ لِصٍّ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ إِذَا قَتَلَ اللِّصَّ الآخَرَ، فَسَتُصْبِحُ كُلُّ هَذِهِ الثَّرْوَةُ لَهُ وَحْدَهُ، وَمَا هِيَ سِوَى لَحَظَاتٍ حَتَّى هَجَمَ اللِّصَّانِ عَلَى بَعْضِهِمَا ...



وَأَخَذَا يَتَعَارَكَانِ بِالسُّيُوفِ حَتَّى قتَلَ كُلٌّ مِنْهُمَا الآخَرَ...
وَنَجَا "عِمْرَانُ" مِنْ مَوْتٍ مُحَقَّقٍ، وَسَلِمَتْ ثَرْوَتُهُ مِنَ الضَّيَاعِ.



قالَ التِّلْميذُ: مَا أَجْمَلَ التَّوَكُّلَ عَلَى الله،
وَلَكِنْ يَا أُسْتَاذِي مَا عَكْسُ هَذِهِ الْقِيمَةِ؟
أَجَابَ الْأُسْتَاذُ: عَكْسُ هَذِهِ الْقِيمَةِ رَذِيلَةُ الاعْتِمَادِ عَلَى الْقُوَّةِ وَحْدَهَا، وَعَلَى الْمَالِ وَالنُّفُوذِ وَالسُّلْطَةِ، مِثْلَما فَعَلَ الْمَدْعُو "شَدِيدٌ".



"شَدِيدٌ" هَذَا كَانَ مِنْ رِجَالِ الْأَعْمَالِ مِنْ أَصْحَابِ الْمَلَايِين، كَثِيرَ الْإِعْجَابِ بِنَفْسِهِ وَذَكَائِهِ، وَامْتِلَاكِهِ لِصِحَّةٍ بَدَنِيَّةٍ عَالِيَةٍ، وَيَفْخَرُ بِقُدُرَاتِهِ عَلَى كَسْبِ الْمَالِ، وَلَمْ يَكُنْ "شَدِيدٌ" يُؤْمِنُ بِقِيمَةِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ، وَكَانَ يُرَدِّدُ دَائِمًا:

أَنَا بِذَكَائِي، وَمَالِي وَصِحَّتِي وَأَتْبَاعِي أُحَقِّقُ كُلَّ مَا أُرِيدُ.



وَفِي إِحْدَى الصَّفَقَاتِ الْكُبْرَى تَعَاقَدَ "شَدِيدٌ" مَعَ أَصْحَابِ شَرِكَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ عَالَمِيَّةٍ، وَوَضَعَ فِي تِلْكَ الصَّفْقَةِ كُلَّ مَالِهِ، وَظَنَّ أَنَّ هَذَا التَّعَاقُدَ سَيُضَاعِفُ أَمْوَالَهُ.. وَبَعْدَ مُرُورِ عِدَّةِ أَسَابِيعَ مِنْ هَذَا التَّعَاقُدِ اكْتَشَفَ "شَدِيدٌ" أَنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الشَّرِكَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ مَا هُمْ إِلَّا مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمُحْتَالِينَ الْعَالَمِيِّينَ، فَقَدِ اسْتَوْلَوْا عَلَى مَالِ "شَدِيدٍ" وَفَرُّوا هَارِبِينَ إِلَى خَارِجِ الْبِلَادِ.



وَلَمْ يَتَحَمَّلْ "شَدِيدٌ" صَدْمَةَ خِسَارَةِ كُلِّ أَمْوَالِهِ. فَأُصِيبَ بِالشَّلَلِ الَّذِي أَعْجَزَهُ وَأَقْعَدَهُ عَنِ الْعَمَلِ، وَتَفَرَّقَ كُلُّ مَنْ كَانَ حَوْلَهُ مِنْ أَفْرَادٍ وَأَتْبَاعٍ وَأَصْدِقَاءَ.لِذَا فَإِنَّ عَدَمَ تَوَكُّلِ "شَدِيدٍ" عَلَى اللهِ أَفْقَدَهُ مَالَهُ وَصِحَّتَهُ وَمَعَارِفَهُ.



قَالَ التِّلْمِيذُ: يَا لَهُ مِنْ دَرْسٍ لِمَنْ لَا يَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ.

وَقَالَتِ التِّلْمِيذَةُ: صَحِيحٌ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ يَحْفَظْهُ ، وَمَنْ لَا يَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ يَهْلَكْ.

رَفَعَ الْأُسْتَاذُ يَدَيْهِ قَائِلًا: اللهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ.

رَدَّدَ كُلٌّ مِنَ التِّلْمِيذِ وَالتِّلْمِيذَةِ: آمِينَ.. آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

